السنة 02 ماستر عقيدة: مقياس مقاصد العقيدة. المحاضرتان 9-10 كلية النبوة..... د/ دبيحي.

أولا: أسلوب القرآن في التعريف بالنبوة.

النبوة لغة:

النبي في اللغة من النبأ وهو الخبر، على وزن فعيل، بمعنى مَفْعِل، مُفْعِل، مثل: **نذير-منذر** وقيل هو ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة الظن، والنبي المخبر عن الله تعالى، والجمع أنبياء.

حقيقة النبوة في القرآن الكريم:

وردت مادة (**ن ب أ**) في القرآن **160** مرة، نصفها **80** مرة، تحمل معنا اصطلاحيا، منها **22** مرة في آيات مكية، ولم يرد لفظ **نبّي** في القرآن بمعنى غير اصطلاحي وقد توزعت صيغ ورود المصطلح في القرآن على الشكل الآتي:

النبوة - 5 مرات

النبي - 33 مرة

نبي - 12 مرة

نبيا - 9 مرات

النبيين - 13 مرة

النبيون- 3 مرات

الأنبياء- 5 مرات

المرات الخمس للفظة **النبوة** في القرآن الكريم توزعت بدورها على النحو الآتي:

03 منها في آيات مكية، وقد اقترنت في جميع الآيات بالكتاب، آية قرآنية، النبوة والكتاب، وزاد في ثلاث منها اقترانها بالحكم، وهي الآية 79 من سورة آل عمران في قول الله تعالى: **(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)** (آل عمران 79).

وهي غير محددة بنبي من الأنبياء وآية الأنعام 89 والمعنى بها 19 من الأنبياء سبق ذكرهم في آيات قبلها قال الله تعالى: **(أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ)**. (الأنعام 89).

وآية الجاثية 16 والمعنى بها أنبياء بني إسرائيل، في قول الله عز وجل: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)** (الجاثية 16).

ويقترن مع هذه الآيات فعل الإيتاء **(يؤتيه، آتيناهم، آتينا)**.

أما الآيتين الآخرتين، فالمعنى بهما ذرية إبراهيم عليه السلام – العنكبوت 27، ومعه ذرية نوح عليه السلام الحديد 26، وتقترن مفردة النبوة فيهما بفعل الجعل في قوله تعالى: **((وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ))** (العنكبوت 27).

وقوله جل جلاله: ((**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**)) (الحديد 26).

صيغة النبوة كما وردت في سياقاتها تشير إلى دلالات عديدة:

1/ فعل الإيتاء والجعل: يشيران إلى البعد الإلهي في النبوة فهي: شيء يؤتى من الخارج وليس أمرا نفسيا، وهما فعلان يتعديان إلى مفعولين هما شخص النبي والنبوة مما يؤكد كون النبوة معنا زائدا على تصورات النبي وروحانيته وسموه.

2/ يلاحظ ترتيب المعنيين بالنبوة كما يلي:

- إبراهيم عليه السلام وذريته أولا.
- نوح عليه السلام وذريته ثانيا.
- بنو إسرائيل.

فمجموعة من الأنبياء ورد ذكرهم وكان ذكر إبراهيم ونوح عليهما السلام فيهما محوريا.

3/ جاءت آية آل عمران في الرد على بعض أهل الكتاب إما نسبوه للأنبياء من أمور ليست من مقتضيات النبوءة، فبينت أن من أوتي النبوءة ليس من شأنه أن يتجاوز كونه عبد الله.

4/ اقتران النبوة بالكتاب في الآيات الخمسة والحكم في ثلاث منها يدل على تلازم النبوة مع الكتاب والحكم في حال اقترانها بفعل الإيتاء وحين ورد فعل الجعل، المتعلق بالذرية لم يذكر الحكم ففعل الإيتاء يتعلق بمعين ومسمى أو معلوم من الأنبياء، أما فعل الجعل فيتعلق بغير

معين ويرتبط بالذرية أو القوم، وعدم جعل الحكم فيما أمتن الله به على ذرية الأنبياء مع الكتاب لمن أوتي النبوة، يدل على أن كون الحكم مرتبط بظرف خاص، ومن متعلقات الزمان والمكان وأداء البشر وكأن الحكم ليس من شأن الذرية، والناس يباشرونه بما أوتوا من الكتاب.

ثانيا: الحاجة إلى النبوة.

النبوة في القرآن الكريم، ليست مقصورة على بقعة معينة في الأرض ولا على شعب أو بعض شعوب، بل هي عامة في كل الأمم الماضية، كما في قوله تعالى: **((وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلاَ فيهَا نَذِير))**.

والسبب في ذلك أن النبوة ضرورية للنوع الإنساني شرعا وعقلا، فأما من ناحية الشرع فالمولى عز وجل بين أن من مقتضى عدله سبحانه وتعالى أنه لا يعذب قوما حتى يبعث فيهم رسولا.

قال تعالى: **((وَمَا كُنَّا مُعَذِبينَ حتَّى نَبْعَثَ رَسُولا))** (الإسراء: 15).

أما من الناحية العقلية فيرجع ذلك إلى أسباب عدة:

1/ يقتضي العقل أن الجنس البشري يفتقر إلى الاجتماع على النظام والصلاح، وتحقيق الاستقامة في الحياة وذلك لا يتحقق إلا بحدود وأحام يجب أن تكون متلقاة من الله تعالى لا

من عباده، لأنه الأعلم لنظام مصالحهم ومواقع منافعهم، فمقتضى العقل أن يكون بين الخلق شرع يفرضه نبي تلقى من الله وحيا وتنزيلا.

2/ خلق الإنسان لا خبر معه عن عوالم الله تعالى والعوالم كثيرة لا يحصيها، إلا الله تعالى وإنما خبره عن العوالم بواسطة الإدراكات، وكل إدراك خلق ليطلع الإنسان به على عالم من الموجودات وإدراك النبوة يطلع عليه الإنسان على عالم الغيب الذي لا تصل إليه الحواس، ولا يقع تحت التجربة.

ولا يدرك العقل حقيقته ولا تفاصيله.

ومع ذلك يبقى العقل من طريق التصديق والاقتناع وأداة التحقيق والمراقبة، وعن طريقه يتحقق الإنسان صدق إدعاء النبوة، ولذلك كان خطاب الأنبياء للناس ودعوتهم إلى الإيمان بنبوتهم عن طريق العقل وقناعاتهم.

3/ من جحد نبوة الأنبياء الله ورسله فقد جحد الخالق وأنكر الحقائق إذ لا يمكن الإقرار بربوبيته وألوهيته وملكه سبحانه مع تكذيب رسله، فلا يجتمع إنكار النبوة مع الإقرار بالرب تعالى وصفاته، كما لا يجتمع إنكار المعاد واليوم الآخر بالإقرار بوجود الخالق، والنبي صلى الله عليه وسلم، إنما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه وصفاته، والتعريف بحقوقه على عباده.

4/ بعث الله أنبياءه ليهرج الناس من الظلمات إلى النور فمن أجابهم خرج إلى الفضاء والنور والضياء، ومن لم يجيبهم بقي في الضيق والظلمة، ظلمة الجهل وظلمة الهوى وظلمة الغفلة عن نفسه وكما لها وما تسعد به في معاشها ومعادها، قال الله تعالى: **((وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ (39) أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَما لَهُ مِنْ نُورٍ))** (النور 39–40).

ثالثا: دلالات حضور اسم النبي.

وردت في القرآن الكريم صيغة النبي صلى الله عليه وسلم 33 مرة كلها في آيات مدنية غير الاثنتين (الأعراف 157 و158) مكيتان، وقد دلت سياقتها جميعا على أن المعني به الرسول صلى الله عليه وسلم الخاتم وقد انفرد بهذا العدد من وصف النبوة عن غيره من الأنبياء، فاختصت به صيغة النبي المعرفة بالألف واللام، فحيث وردت فالمعهود بها هو محمد صلى الله عليه وسلم، وقد لوحظ اقتران هذه السيرة باسم الإشارة مرة في قول الله تعالى: **((وهذا النَّبِي))** (آل عمران 68).

والنداء في معظمها في قوله جل جلاله: **((يَا أَيُهَا النَّبِي))** (الأنفال 64–65–70)، التوبة 173، الأحزاب (1–28–45–59)، الممتحنة 12، الطلاق 1، التحريم (1–9).

وجاء ذكره في بعض الآيات في إطار الحديث عما أضيف إليه مثل قوله تعالى: **((يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا))** (الأحزاب 32).

((بيوت النبي)) (الأحزاب 53).

((صوت النبي)) (الحجرات 2).

وفي وصف بأنه أمي في الآيتين المكيتين مع وصفه بالرسالة وقد وردت جميع الآيات بخصوص شخص النبي صلى الله عليه وسلم، خطابا أو إضافة له ما عدا آية واحدة ورد الخطاب فيها مفردا للنبي صلى الله عليه وسلم والمقصود بها جماعة المؤمنين عن طريق الالتفات قال الله تعالى: **((يَا أَيُهَا النَّبِي إِذَا طَلَقْتُم النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَ لِعِدَتِهِنَّ)) (الطلاق1).**

وقد بينت مجمل الآيات كون النبي صلى الله عليه وسلم محل للإيمان به ومحل لإتباعه أمرا بذلك ووصفا، ونهت عن إيذاء النبي، وبينت آمرة العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحقه عليهم، الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وعناية الله بالنبي صلى الله عليه وسلم وتوبته عليه ورفعته عنده.

وقد اشتملت سورة الأحزاب على النصيب الأوفر من هذه الآيات (15 من 33) وفي معظمها كان الحديث عن بيت النبي وأسرته وحياته الشخصية، ويلاحظ الرازي فخر الدين

أن سورة الأحزاب قد تضمنت تأديبا للرسول صلى الله عليه وسلم من ابتدئها: قول الله تعالى: **((يَا أيُهَا النَّبِي اِتَقِ الله))**.

إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه مع ربه من قوله تعالى: **((يَا أيُهَا النَّبِي قُلْ لأَزْوَاجِكَ))**.

إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه مع أهله.

من قوله تعالى: **((يَا أيُهَا النَّبِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ))**.

إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه مع بقية الخلق وكافتهم هذا ويمكننا أن نسجل من وصف سياقات ورود صيغة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الدلالات الآتية:

إن وصف النبوة لم يكن شائعا فيما خص النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، فلم يرد غير مرتين في الآيات المكية وكان مقترن بوصف الرسالة، رغم شيوعه بالنسبة لغيره من الأنبياء.

إن معظم السياقات التي ورد فيها لفظ النبي صلى الله عليه وسلم كانت تتمحور حول قضايا شخصية تتعلق به، فلفظ النبي يتعلق بالمقام الخاص حسب تعبير الزركشي، وحيث تتعلق بالمقام العام وردت قرينة تدل عليه.

استخدام لفظ النبي صلى الله عليه وسلم للحديث عن شخصية وأموره الخاصة مع العدول عن ذكر اسمه العلم له دلالاته الخاصة من حيث التكريس تصور جديد لشخصه صلى الله عليه وسلم وضرورة إيلاء مكانة خاصة له بوصفه نبي لا كأي شخص آخر وفي هذا إشارة إلى علة التكليفات الواردة بشأنه، فذلك لكونه نبيا وليس لكونه محمدا صلى الله عليه وسلم،

وثمة دلالات أخرى تتعلق باختيار النبي للتشريعات ذات المقام الخاص بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم بدل من لفظ رسول وهي ذات صلة بمعنى النبوة الذي يتمحور حول شخص النبي ولا يتجلاه إلى غيره فمعنى النبوة، يتحقق حول محور واحد: الله- متلقي الوحي.

ألف ولام العهد في لفظ النبي المشيرة حصرا إلى النبي الخاتم مع كثرة ورودها في القرآن تحمل دلالة على ختم النبوة، فلا نبي غير محمد صلى الله عليه وسلم في عصر نزول القرآن ولن يكون هناك نبي بعده.

ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم في الشهادتين وفي الآذان له رمز عديدة ويجيل على دلالات أجملها بعض أهل العلم في النقاط الآتية:

- طاعاته صلى الله عليه وسلم فيما أمر (وجوبها).
- تصديقه فيما أخبر.
- اجتناب ما نهى عنه وزجر.
- ألا يعبد الله إلا بما شرع.